وكل ولادة من الولادات كانت تأتي في لحظة خروج أنثى أو موتها، فالأنثى هي قطب الحركة وسر التحول.

هل هذه محاولة لفتح المسافة ما بين الجدارين...؟

إن كان العرف الثقافي يتأسس على رسم الحدود بين قدرات الأنثى وقدرات الذكر، فهذا سياق معرفي واجتماعي له حقه من الرسوخ والتسليم. وهذا هو ما جعل المرأة الكاتبة تحتال لمواجهة هذا العرف بأن تسعى إلى كسر العلاقة العضوية ما بين الروح والجسد وجرى تنقل الروح ما بين أجساد مختلفة منها المذكر ومنها المؤنث. وجرى خلط الشخوص من خلال ابتكار ذاكرة لا تميز بين جنس وجنس ومكان وآخر وزمن وآخر. وتكون الشخصية حينئذٍ ذكراً في جسد أنثى أو أنثى في جسد ذكر أو هما معاً: جسد وتاريخ في ذاكرة مختلطة.

هذا بديل إبداعي نجده في كثير من أعمال رجاء عالم حيث تتداخل الأجناس والأمكنة والأزمنة[22].

إنه بديل عن المواجهة الخطابية أو القول بأن لا فرق بين الجنسين أو أن الأنثى أقدر من الرجل، أو أرجل منه، أو أن الرجل أكثر نسوية من المرأة.

تأتي هذه الوسيلة التكتيكية في علاقات الأنوثة والفحولة بوصفها

(22) انظر مثلاً روايتها (أربعة / صفر) حيث تتداخل الأرقام والنسب ويبدأ الكتاب مع الفصل الأخير وينتهي بالفصل الأول ويأتي الغلاف الأمامي خلواً من العنوان بينما يأتي اسم المؤلفة وعنوان الرواية في الغلاف الأخير وفي ظهر الكتاب، حيث لا يصبح وجه الكتاب عنواناً عليه ولا مدخله بداية له، وتبدو المؤلفة وكأنها تلغي البدايات وتعيد ترتيب علاقات الأشياء عبر صراع بين رقمين ويمثل العنوان علامات الأنوثة والذكورة من جانب رقم (أربعة) ذي العلامة المؤنثة، ورقم (صفر) الذي لا يحمل علامة الأنوثة ومن ثم فهو ـ بالضرورة الثقافية ـ مذكر. ويجري تداخل العلاقات ما بين الأشياء في هذه الرواية تداخلاً تضيع معه التراتبية العرفية المعهودة.